« سنترا » الخضراء تصبح نور السماء اللامتناهي، وكانت مسيرته العرجاء تصبح طيراناً طويلاً صامتاً، وذلك اللقاء الشهوانيّ المحموم فتحاً فكرياً محضاً بلا وعي مؤلم ولا حدود.

دام ذلك قرابة عام. ثم بدأت « المخلوقة الصغيرة » تمحّي وتشحب كالسراب، كحلم صباحي، وفقدت شيئاً فشيئاً سلطتها. وكان بايرون يُحسّ نفسه مهجوراً، يائساً، بلا قوة. لقد حمله النهر الرديء من جديد ومضى به وهو ينحدر في مجرى الحياة. ولقد عرف من جديد هذه اللقاءات وتلك الصدمات التي يعقبها التقزّز كأنه ظلّها. وكان ذلك اشد قسوة وإيلاماً من قبل « سنترا ». ذلك أنه كان يخيل إليه الآن أن قوانين الحياة القاسية كانت تمدّ سلطتها الفريدة حتى إلى مجالات الحلم، من غير أن يستطيع أحد أن يفلت منها.

أنتَ ابتداءٌ وأنتَ انتهاء!

تَعْرِفُ الآنَ كُلَّ العَواطِفِ،
- تعرف كُلَّ لُغاتِ العَواطِفِ -
لكنَّ واحدةً أَوْصَدَتْ بابَ قلعتها،
فَاقْطَعِ اليَمَّ عَوْماً إليها.
سَفينَتُكَ اخْتَرَقَتْ بِسَجائر كنتَ تُكَدِّسُها في الزوايا،
وكنتَ تُعَلِّقُ أَوْسِمَةَ النَّصْرِ في معطفيكَ،
فَقُلْ لي: أَهَذا هو النَّصْرُ؟!
ها قَدْ خَرَجْتَ من الحَرْبِ مِن غير مُهْرٍ:
فَهَلْ تَعْلَمُ اليومَ أَنَّ لِكُلِّ الفوارسِ خَيْلاً
تَدُكُّ عُبابَ الشوارعِ؟
يا طارِقَ البابِ، أَنتَ ابتداءٌ..
وأنتَ انتهاءٌ..
سدىً لا تزال تُراوغُ ذاتكَ
فَاخْتَرْ طريقَ الجحيم فَما أنتَ كَالْهَوْلاء.

وجدة (المغرب)

محمد علي الرباوي